سيكولوجيا الغشتالت(*) والاهداف الإستراتيجية " محاولات للفهم "

زهراء حسن كاظم

لاحظ كيسنجر " **ان تجاهل الصلات البينية للأحداث كفيل بتقويض الترابط المنطقي للسياسة جمعاء** " اما سكاوكروفت –مستشار الأمن القومي لدى الرئيس الأمريكي الأسبق جيرالد فورد – يبدي ملاحظتهُ القائلة " **السمة المميزة للأدارة الناجحة تتمثل في ذاك المدى التي تستطيع ما لديها من مفهوم إستراتيجي ان يوحد الحكومة** " ، لا مندوحة من القول : ان أفعال قوة رئيسة في عالم يتسم بالتواكلية والاعتماد المتبادل ، هي حتماً مترابطة معاً ولها نتائج قد تكون ابعد من المنطقة ذات الصلة الأنية ، وبما يُبيح لهم رؤية الحال الذي هم فيه ، كمقدمة ضرورية لبناء ما يطمحون اليه اوضاعاً وتدبيراً.

بدءاً تفترض فكرة " **المعاوضة المائعة** " الانسحاب الى مكان آمن، حيث يصبح العالم " **البيئة الإستراتيجية** " مفهوماً مرة آخرى، ذلك ان التمثيل العقلي لصناع القرار تشكل شبكة دقيقة من المعتقدات المتصلة التي تسجل العلاقات بين كل من المتغيرات المؤثرة في الهدف " **صياغة وتنفيذ** " في مواجهة حدث ما يبدو ظاهرياً غير مفهوم، ويبدو انهُ سيكسر ذلك الأطار، حتى يشعر صانع القرار بانعدام عميق للبوصلة الضابطة لأدائهُ نحو الهدف.

باستخدام هذه الأفكار كمنصة انطلاق: لحقيقة مكانة الحكومة " السياسة " في صياغة الأمن للدولة، طالما بدا الأمن جوهر ما تهدف اليه الحكومات حيث التنمية والاستقرار السياسي. فكانت مهمة تحقق الأهداف لا تغالب من حيث الأهمية، استدراكاً لمحاولات عده للفهم:

محاولة الفهم الأولى: تلك التي تتعلق بأسبقية "الحدث" ام " الهدف" ؟ لان قادة الدول الكوى يميلون الى تصور المصالح والمسؤوليات العالمية " الحدث" ، في سياق تفاعل مسيطر عليه ادراكيًا ، لا ان يترك توليفها الى الأخر ، عنوانًا لتغيير في مجتمعه ، وصياغة نظام عالمي جديد .ضمن ثلاثية حددها **كيسنجر** في مؤلفه الصادر 2024 " **ضبط النفس ، التفكير في الأخطاء ، التوجه نحو المستقبل** " ، لذلك يكون التحدي المتمثل

(*) بمعنى كل متغير هو متغير متوقف على غيره، وكل شيْ متصل بكل شيء اخر ويؤثر فيه، وان العلاقات بين الغاية والوسيلة، والمصالح وما يهددها، بين التكاليف والمنفعة على سبيل المثال لا تعطي علاقة خطية بسيطة بين السبب والنتيجة.

في وضع إستراتيجية متكاملة اشد تعقيداً عليهم-**الدول الكبرى والى حد ما الدول الإقليمية**- مما هو عليه بالنسبة للدول "**العراق**" التي تدار قضايا امنها الوطني بصيغة التكيفات الانية دون افق إستراتيجي يحكمها .

محاولة الفهم الثانية:

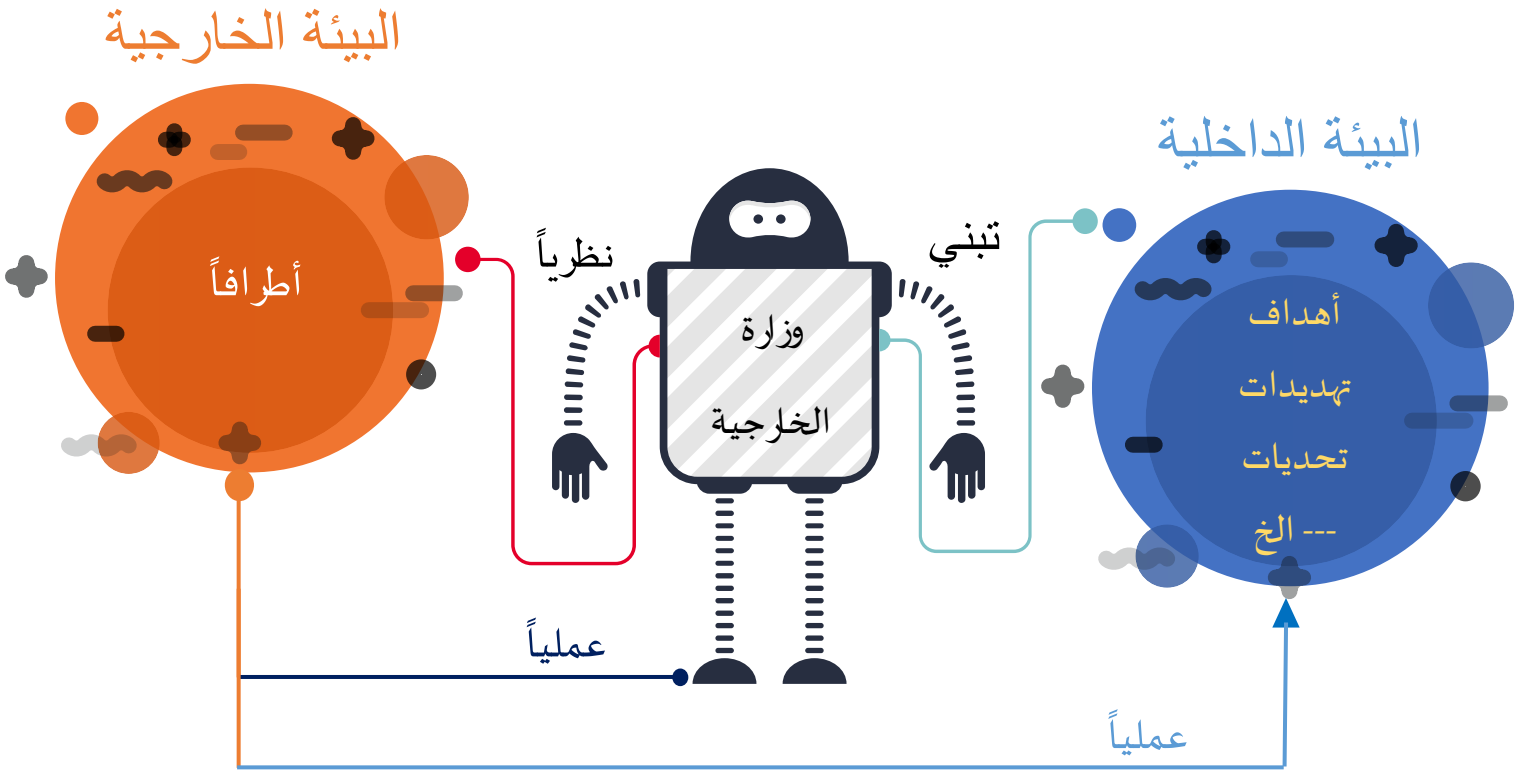

المخطط رقم (1) الترابطية بين البيئتين المحلية والدولية.

العمل على دمج مسارات عمل الإستراتيجية " الأهداف الخارجية " ليس افقياً او شاقولياً فحسب، بل التنسيق مع المخططات في مجال البيئة الداخلية.

محاولة الفهم الثالثة: ان الربط الحقيقي والسببي يصل في المواقف القوة مع القوة، والضعف مع الضعف، انما الربط الصنعي والمساوم هو محاولة للتغلب على الضعف في قضية ما من خلال ربطها بالقوة، وعند ترتيب أولويات الأهداف يستخدم الخبراء الإستراتيجيين هاتين الطريقتين معاً، فيبحثون عن طرق لتحويل الروابط الأصلية للأمور السياسية والاقتصادية في العالم الى ما فيه فائدتهم، أي خلق حوافز او ضغوط في جزء من عالم بغية التأثير في احداث تحصل في جزء اخر. باستخدام أدوات تدعم هدفين او أكثر.

ليضمن لصانع القرار الانتقال بالإستراتيجية الى ما هو ابعد من التنسيق ونحو الترابط المنطقي والى ما هو وراء الغاء التضارب في اجزائها المختلفة ونحو تأسيس علاقات تبادلية إيجابية توسع مجال الأهداف القابلة للإنجاز.

محاولة الفهم الرابعة: دراسة الأطر الزمنية ليس بخصوص الطبيعة الأساسية للتحركات التي يجري تنسيقها فحسب، بل وايضاً كل ماله صلة بالتقييدات والفرص التي تتيحها البيئتين المحلية والدولية، مع مراعاة ان التغيرات الحاصلة في البيئة تشكل نقطة مرجعية للتمييز بين الأطر الزمنية القصيرة الأمد والأطر الطويلة الأمد. فالمدة قصيرة الأمد تتمحور حول التوقع للتغيرات او يعمل من اجل هكذا تغيرات، بينما الأمد الطويل مناسباً لاستيعاب هكذا تحولات

محاولة الفهم الخامسة: **إدارة الامن الوطني –القومي** " علم وفن ينبغي للحكومة تعليمه " تحديده "على وفق مبادئ مستوحاة من اسرار نشأتها اذ كما يقول **ابن سينا** على الحكومة ان تفقه ما اسماه " **تدبير المنازل** "بمعنى انشاء البيئة الحاضنة للأمن على وفق برامج إستراتيجية وافتراضات مجربه تقرب واضعيها من بلوغ الأهداف المنشودة حيث الغاية الأساسية هي الأمن.

محاولة الفهم السادسة: ان التنسيق والتوحيد بين أدوات فن الحكم يبدأ بتنسيق فكري وتوحيد للمفاهيم من خلال الترابط المنطقي، واثناء سعيهُ الى تحقيق ترابط كهذا، قد يجد الخبير الإستراتيجي نفسه مجبراً على الاختيار " بين الأهداف " وعلى وضع الأولويات ل:

- على الرغم من الحالة المثالية تقضي بدمج وتوحيد ذلك التنوع الكامل للقضايا والاقاليم والبلدان، الا ان القدرات قالما تضاهي ما هو مثالي، وعندئذ تصبح عملية تحديد الأولويات الطريق المختصر الوحيد عبر ذاك التعقيد. لذا نجد ان الولايات المتحدة سوقت لفكرة حرب الضرورة وحرب الاختيار.
- التحدي الأكثر ضرورة والأكثر صعوبة معاً امام رجل السياسة يتمثل في انتقائهُ لهدفين او أكثر تكون الأكثر قابلية تنفيذاً واهميةً، بدلاً من تبديد طاقتهُ وموارده في جهود متعددة وجديرة ثم ينتهي به الأمر الى ان احداً من هذه الجهود لم يحقق المطلوب.
- حتى لو بدا الحديث عن قوى تتراكم لديها مقومات القوة، فان الواقع قد يبدي صراعات موضوعية، لا يمكن التغلب عليها.

محاولة الفهم السابعة: ان منطق الإستراتيجية يتضمن المفارقات، فاذا أراد الخبراء الإستراتيجيين الذهاب الى من نقطة (أ) الى النقطة (ح) فهو لا يذهب عبر النقاط المعروفة بينهما وهي (ب، ت، ث، ج) لان خصمه

سوف يضع العقبات في طريقه، لهذا فهو يختار مقاربة غير مباشرة او منحرفة عن المسار المستقيم، مقاربة تأخذ في الاعتبار كيف يحتمل ان يتنبأ الاخر عن أفعال المرء؟ وما الخطوات التي قد يتخذها لمقاومة تلك الأفعال؟ " **المقاومة الذكية لصانع القرار** ". "**الدول الإقليمية** ".

محاولة الفهم الثامنة: عّدت الحرب على العراق2003 وما تلاها من أزمات ومشكلات وتهديدات " **ما حدث في العام 2014**" احداث عدُت حافزاً على تحول أرحب في المنطقة احداثاً طابعها الأساسي العميق غير مدرك عراقياً لكنهُ واضح أمريكياً، وينتظر الحصيلة البعيدة الأمد للربيع العربي، والتحدي النووي الإيراني على الصعيدين النووي والجيو سياسي – **وان كان الثاني بخدمة الأول** – وللانقضاض الجهادي على العراق وسوريا. فالمؤكد: الحسابات الخاطئة لقياداتهُ في بناء مقتربات أداء فضلى، لذا ليس من المعيب بحقائق التمازج بين تدهور الوضع العراقي مجتمعياً لاسيما الأمني، وبين الرؤى الإقليمية حيال الأمن العراقي. اما ما لايزال منتظراً: هو إذا ما كانت تلك الرؤى مشفوعة بروح بناء الذات العراقية هاجراً فكرة " **أن استقرار مصالحهُ او الدفاع عنها يمر بزعامة بعض أخر**".

ختاماً: ان تاريخ العراق ينبئ بأمر فريد لا تقبض عليه دول المنطقة قاطبةً، الا وهو ارتباط مداوة جروحهُ الداخلية بمقدار ما يحوز عليه من تأثير من الخارج، وتلك ميزة إستراتيجية لم تستطع دول المنطقة رؤيتها بمدياتها البعيدة ليس من ناحية الثروة وتسويقها، او من ناحية الانتماء القومي ودواعيه بل لأنهُ دوماً لا يحيا دون دور.